٥

عالم المرأة

الحجاب والحرية

لجنة التأليف - مؤسسة البلاغ

عالم المرأة

٥

الحجاب والحرِّية

لجنة التأليف

مؤسسة البلاغ

الحـجاب والحـرِّية

الحجاب والحرّية .

تأليف ونشر : لجنة التأليف ـ مؤسّسة البلاغ .

الطّبعة الأولى : ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .

طُبع من هذا الكتاب ١٠ر٠٠٠ نسخة في مطبعة الصّدر .

ISBN 964-402-126-6

E-Mail: books@balagh.com

Fax: 0098-21-2575778

الجمهوريّة الإسلاميّة في إيران ـ طهران ص . ب ١٩٧٧ / ١٩٣٩٥

P. O. Box: 1977/19395 ISLAMIC REPUBLIC OF IRAN

موقع البلاغ على الانترنيت : www.balagh.com

بسم الله الرحمن الرحيم

جمال المرأة:

المرأة مخلوق جميل .. وإلى جانب جمالها الشكليّ وهبها الله جمالات أخرى: جمال العقل والتدبير، وجمال التصرّف الحكيم، وجمال الدقّة في الانتاج، وجمال الرقّة في معاملة الأُسرة وتلطيف ما تعانيه من صعوبات الحياة ..

وأضفى على ذلك كلّه غلالةً من جمال ساحر، وهو حياؤها الذي يزيدها جمالاً على جمال ..

وقد أراد الاسلام للمرأة أن لا تكشف مفاتنها للرائح والغادي، ولم يرد لها أن تكون كمعرض تُعرض فيه البضائع التي تجتذب الزبائن، بل أراد لها أن تستتر، وأن تبرز جمالها في المواطن التي حدّدها لها، وأن لا تقتصر على جمال المظهر دون جمال الجوهر.

فالاسلام لم يحرم المرأة من التمتّع بجمالها وأنوثتها، بل حدّد لها طريقة التعامل مع الجمال ومع الأُنوثة، حتى لا يُساء استغلال ذلك، ويتسبّب في مشاكل اجتماعية ونفسية وأخلاقية يحاول الاسلام أن ينظِّف المجتمع منها ومن آثارها.

وقد تسأل سائلة: لماذا منحنا الله الجمال ومنعنا من التمتّع به؟ وكأنّها بسؤالها تستبطن شعوراً بالظلم. فالفتاة السائلة ترى أنّ من حقّ الجميلة أن تعرض جمالها على الناظرين كما يعرض التاجر بضاعته من خلال معرض متجره، أو كما يعرض الرسّام لوحاته في معرضه أو مرسمه.

حسناً، فلنناقش الأمر بعقل بارد، ومن خلال أسئلة هادئة وصريحة:

- هل تبتغي الفتاة الجميلة أن تجتذب الأنظار إليها من أجل الزواج بها؟

- هل تسعى من خلال كشفها لجمالها أن يتكاثر عليها المعجبون؟

- هل تقوم بإبراز مفاتنها ليكون جسَدها مبذولاً لكلّ مَن يشتهيه؟

فإذا كانت تبتغي الزواج، وهو حقّها الشرعي لا يخالفها عليه أحد، فإنّ الاسلام لم يحرمها من:

ـ كشف وجهها، وهو عنوان جمالها الذي يمكن لخاطب ودّها أن يقرأه، والكتاب ـ كما يُقال ـ يُعرَف من عنوانه، في الغالب.

ـ الحركة في المجتمع، سواء في مواقع الدراسة أو في العمل، مما يتيح لها المجال في أن يتعرّف الراغب بالزواج عليها، سواء من خلال النظرة العامّة أو من خلال السلوك والتصرّف.

ـ مفاتحة مَن ترغب الزواج به، وإن كانت التقاليد قد حجبت هذا الحقّ الشرعي حتى عاد أمراً مُستهجناً أو غير مُتعارَف عليه على الأقل.

وإذا تزوّجت الفتاة، كان لها أن تُعبِّر عن استمتاعها بجمالها بأقصى درجات الاستمتاع. وإذاً فهو ليس الحرمان، بل وضع الشيء في موضعه، وتلك هي الحكمة.

أمّا إذا كانت تهدف إلى استقطاب عدد كبير من المُعجَبين، فقد يُدخل ذلك على قلبها سروراً مؤقتاً وإعجاباً بالنفس قد لا يستغرق أكثر من فترة التماع نظرات المُعجَبين. لكن السؤال المهم هنا هو: وماذا بعد؟

ـ هل تستهويها اللّعبة فتبقى تتلقّى نظرات الإعجاب المغموسة بالشهوة والطّمع بجسدها لتُشبِع بذلك غرورها، وهيهات أن يشبع؟!

ـ هل تتخيّر من المُعجَبين شخصاً بعينه لتعيش معه كزوجة في وئام واحترام وانسجام؟

ـ هل تستسلم لأكثر من مُعجَب، لتكون صيداً سهلاً لأكثر من صيّاد يقضي وطره منها ثمّ يرميها رميَ النواة؟!

لقد كشفت الكثير من التحقيقات في أوساط الفتيات والنساء السافرات أنّ القضية لم تقف عند حدود الإعجاب، بل تعدّته إلى حالات من التحرّش والمضايقة والاعتداء.

هكذا هو الحال في مجتمع الفنّانات من الممثِّلات والمطربات.. وهكذا هو في أوساط المذيعات الفاتنات.. وهكذا هو في دنيا السافرات المتبرِّجات من الطالبات والعاملات في أماكن العمل المختلطة.

إنّ الفتاة التي تجد مُتعتها في النظرات الجائعة والكلمات الملتهبة تطرق سمعها وهي تخطر كاشفة بعض مفاتنها، ستجد نفسها بعد حين وقد ملّت اللّعب بانتظار الرجل الذي تسعد بقربه، ويصدق في حبّها ويخلص لها، وتشاطره الاستمتاع بالحياة الزوجية بعيداً عن حالات التوتّر النفسي التي تعانيها في عزوبيّتها.

أمّا تلك التي عرضت جسدها في سوق المباذل لتقع في أحضان

أكثر من (زبون)، فقد اختارت طريق الفحشاء والرذيلة، وليس حديث هذه الصفحات معها.

إذاً، فالسؤال الحريّ بكل فتاة أو إمرأة مسلمة عاقلة أن تطرحه على نفسها هو: ماذا أريد بجمالي؟

- هل أريد له ما تسوِّله لي نفسي الأمّارة بالسوء ويزيِّنه الشيطان من تحويله إلى سلعة؟

- هل أريد له ما يريده تجّار اللّحم الحيّ وأدعياء الحرِّية؟

- هل أريد له ما أراد له خالقه من أن يكون مصوناً في حدود الشرع، وأن أعبرِّ عن استمتاعي به في المواضع التي حدّدها لي، وفي ذلك فسحة كافية للارتواء النفسي والجسدي؟

وفي الإجابة الصريحة على هذه الأسئلة، يتحدّد موقف المرأة الشرعي من الستر والتبرّج.

وثمة سؤال آخر تحتاج الفتاة أو المرأة أن تواجهه بصراحة أيضاً، وهو: هل أرتضي لنفسي كفتاة أو إمرأة أن تُقيّم شخصيّتي من خلال شكلي الخارجي فقط؟ أي من خلال جمالي الذي لا دخل لي فيه وإنّما هو هبة الله الذي يمكن أن يسلبه منّي في أية لحظة؟ أم أنّني كإنسانة لي نقاط قوّة وجمال أخرى يمكن أن أُقيّم من خلالها:

ـ (علمي) الذي يمكن أن يكون جمالاً مُـلازماً يومَ تدبّ تجـاعيد الشيخوخة فتنطفئ النضارة وتخبو أشعّة الجمال، بل هو تاج جمال يُضاف إلى جمالي في ريعان صباي وشـبابي، فيُضاعفه ويُسبغ عليه هـالات أجمل وأكمل.

ـ(ذكائي) الذي به أُحسِن التصرّف وإدارة الأُمور ومعالجة المواقف والمشكلات.

ـ (أخلاقي وعفّتي) التي تُزيِّن جمالي وتحرسه، فتهفو إليـه النـفس المؤمنة العفيفة ليلتقي العفاف مع العفاف فننتج جيلاً عفيفاً طاهراً.

ـ (تواضعي) الذي أستمدّه من أنّ جـمالي مهما كان باهراً فإنّـه صناعة الله، وأمّا أخلاقي الحميدة فهي صناعتي وجهدي الخاص الذي تعبتُ في تحصيله ويحقّ لي أن أفتخر به.

ـ (عملي ونتاجي) ممّا يمكن أن أُبدعه على أي مستوى سـواء في دراستي، أو عملي الحقلي، أو في بيت المستقبل من تربية صالحة لأبناء مؤمنين عاملين.

ومن هنا، فإنّ المرأة كيان إنساني ذو شـخصية لها شأنها، ويـظلم المرأة كما تظلم هي نفسها، من يظنّ أو تظنّ أنّها مجرّد شكل أو شيء أو سلعة، فلقد كرّمها الله إذ كرّم بني آدم جميعاً. وإنّها لتسيء إلى كرامة الله تلك التي تتبذّل وتتنزّل حتى تغدو مجرّد جسد أو إطار أو آنية جميلة.

مخاطر التبرّج:

ماذا يحصل عندما نهدم جدران بيت؟

يغدو مكشوفاً وعرضة لنظرات الرائحين والغادين بحيث تسقط حرمته فلا يستطيع أهله أو سكّانه منع الناس من التفرّج عليهم.

وماذا يحصل لو أنّنا فتحنا شبابيك بيت جميل، وقلنا للمارّة: لا تنظروا من خلالها، ولا تلقوا إلى داخل الدار ولو نظرات عابرة؟ ألا يمكن أن يثير ذلك اعتراضهم فيقولون: اغلقوا شبابيك البيت قبل أن تطلبوا منّا إغلاق عيوننا؟!

هذان المثالان كثيرا الشبه بالفتاة أو المرأة التي تخرج سافرة متبرِّجة كاسية عارية تلبس أبهى زينتها وأجمل ملابسها وتضع المساحيق والعطور المثيرة، ثمّ تقول للشبّان الذين تفور غرائزهم: لا تُستثاروا!! غضّوا أبصاركم!! لا تلتفتوا إليَّ.. دعوني وشأني!!

وهل هناك يا ترى متبرِّجة تقول ذلك؟ أليست تخرج كذلك لتلفت الأنظار إليها وكأنّها شاشة تلفاز تبيح للجميع التطلّع إليها؟! وعلى ضوء ذلك، ما هي انعكاسات التبرّج على الفتاة المتبرِّجة ذاتها، وعلى المجتمع؟

على الفتاة، يبدو انعكاس ذلك من خلال النظر إليها من زاوية

واحدة فقط، أي أنّها أنثى، وأنّها جسد يطمع به الطامعون، كما يتركّز هذا المعنى في ذهنيّتها أيضاً، فلا تلتفت إلى الجوانب الأُخرى في شخصيّتها، وإنّما تصبّ اهتمامها على الشكل دون المضمون، فتغرق في اقتناء الملابس الثمينة والزينة الغالية، وتتفنّن في الظهور بمظهر اللّافت للأنظار ممّا يُسبِّب لها متاعب مالية واجتماعية ونفسية كثيرة.

فهي لا بدّ وأن تُغيِّر ملابسها التي سبقَ أن ارتدتها وإن لم يمضِ على شرائها وقت طويل، ولا بدّ أن تنافس قريناتها من الفتيات في التسابق على الموضات والصرعات والصيحات الجديدة، وإذا مرّ عليها وقت لم تجد فيه ذلك كلّه، فإنّها سوف تعاني من أزمة نفسية ظنّاً منها أنّ الخروج إلى الشارع أو المعهد أو مكان العمل في نفس ملابسها يجعلها صغيرة وفقيرة وحقيرة في نظر صاحباتها، وفي نظر مَن تتوقّع من الشبّان والرجال أن ينظروا إليها.

وقد تضطرّ بعض الفتيات للعمل أو للاقتراض، أو الضغط على عائلتها ذات الدخل المحدود من أجل أن تبقى في حالة تغيير دائم في الشكل وإلّا سقطت في السِّباق المحموم.

وكم فعلت هذه المنافسة فعلها السيِّئ في نفوس فتيات تعقّدن من اللّهاث وراء الموضات، وربّما شعرن بالغيرة والحقد والحسد من

الفتيات الأُخريات اللّواتي يفقنها في تسريحة الشعر، أو موضة الملابس الباهضة التكاليف قماشاً وخياطة، أو ما يضعنه من زينة ويلبسنه من ذهب ومجوهرات.

وكم أكلت هذه المنافسة التي ليس فيها فائزة واحدة، من أوقات الفتيات والنساء في الأحاديث التي يستغرقن فيها حول ما لبسن وما سيلبسن، والمقارنات التي يعقدنها حول ما تلبسه فلانة والزينة التي تتزيّن بها الأُخرى، حتى امتدّت المنافسة إلى تقليد الفنّانات، وصاحبات الثراء، وعارضات الأزياء.

إنّ فتاةً تلهث خلف الاهتمام الوحيد بمظهرها.. فتاة مسكينة تبعث على الشفقة.. وربّما احتاجت إلى وقت طويل حتى تُدرِك أنّها كانت ضحيّة التجّار والسماسرة ومروِّجي الاعلانات وأصحاب النزوات والشهوات.

أمّا على صعيد المجتمع، فالانعكاسات أشدّ سوءاً:

فالشبّان الذين يريدون أن يتحصّنوا أو يتعفّفوا لأنّهم لا يجدون ما يؤمِّن لهم نفقات الزواج، وهم يشاهدون في الصباح والمساء مشاهد فاضحة تجعل غرائزهم تستعر وهم لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

والرجال الذين في قلوبهم مرض الذين يمدّون أعينهم إلى هذه وإلى تلك في عملية التقاط للصور المثيرة، وأخرى للمقارنة بين ما أنعم الله به عليهم من الحلال الطيِّب وبين ما هو في حكم المُشاع من اللّحم العاري والنصف العاري، أو المُغطّى الذي يصف ملامح الجسد فيثير أكثر من المكشوف، كلّ ذلك ممّا يُربك حياتهم ويُعقِّد أوضاعهم النفسية والأُسرية، بحيث يتسبّب في حالات شجار وعراك بينهم وبين زوجاتهم إن لم يتسبّب في الأسوأ وهو الطّلاق وخراب البيوت.

وبالتالي فإنّ المتبرِّجات وأنصاف العاريات والسافرات اللّابسات من الملابس أكثرها إثارة يُحدِثن حالة من الطوارئ الجنسية بحيث يتحوّل الشارع أو أماكن العمل أو وسائط النقل إلى أشبه شيء بغرف النوم.

فأيّة جرائم اجتماعية وأخلاقية يتسبّبن فيها ذوات الحياء القليل سواء شعرن بذلك أم لم يشعرن. وللأسف فإنّ قانون الكثير من البلدان لا يتسامح في ذلك فقط، بل يشجِّع عليه ويفتح له الأبواب على مصاريعها بغية إفساد الجيل بشبّانه وشابّاته.

الوقاية الأخلاقية:

ولأجل أن يضع الاسلام حدّاً لهذا الاستهتار بالقيم والأخلاق، ولكي يخفِّف ويزيل الكثير من الانعكاسات والآثار السلبية الاجتماعية والفردية للتبرّج، ولكي لا يستهلكنا علاج الحالات الصعبة أو التي فاتَ عليها الأوان فلم ينفع معها العلاج، رأى المشرِّع الاسلامي أن يحصِّن الفتاة داخلياً وخارجياً في برنامجٍ وقائي أثبت نجاحه حيثما كانت هناك فرصة لتجريبه، وحيثما كانت هناك استعدادات ذاتية وموضوعية لتطبيقه.

ولا بدّ من الالتفات إلى أنّ الاسلام لا يلغي ولا يصادر الحرِّيات، بل يتحفّظ على بعضها حتى لا يُساء استغلالها، ويضع الحدود هنا وهناك من أجل أن يحمي الانسان من نفسه الأمّارة بالسوء تارة، ومن المجتمع الذي يحيط به أخرى.

فعلى صعيد المناعة الذاتية، اتّخذ الاجراءات التالية:

ـ طلب من الفتاة أو المرأة عموماً أن تحكِّم إرادتها في أفعالها كلّها، كما طلب ذلك من الشبّان أو الرجال عموماً.

ـ وحذّرها من أن تقع فريسة لتسويلات الشيطان الذي قد يملك أن يوسوس لها بالسوء ويزيِّنه لها، ولكنّه لا يملك أن يعطِّل أو يشلّ

إرادتها كإنسانة واعية ﴿إنّ كيدَ الشيطانِ كان ضعيفاً﴾[1].

ـ وألزمها بالستر الشرعي (الحجاب) لا ليضعها كما يقول المغترّون في (كيس أسود) وإنّما ليحصّن أنوثتها بما يبعد عنها غائلة السوء والتعدّي، وبما يساهم في نشر حالة العفاف في المجتمع كجزء من حالة الأمن الاجتماعي الذي يحرص على استتبابه ونشره على أوسع نطاق.

ـ كما منعها من أن تبدي زينتها إلّا ما ظهر منها، حتى لا تحرّك أجواء الإغراء بالمعصية.

ـ وزرع في داخل تكوينها الانساني خصلة (الحياء) التي تعمل بمثابة الكابح الذي يكبح جماح النفس والشهوة والنزوة، كما يجعل المرأة محبوبة أكثر ومُقدّرة أكثر.

ـ ودعاها إلى تربية حالة (التقوى) في داخلها والتي تقابل ما يُصطلح عليه بـ(الضمير)، حتى لا تندفع مع تيار النفس الجامحة التي تأمر بالسوء والشيطان الذي يُزيّن ذلك السوء.

ـ كما دعاها إلى احترام سمعتها ومكانتها في المجتمع حتى لا تطالها الألسن بالسوء والرِّيبة والانتقاص والتسقيط، فتلك مريم عليها السلام مثال العفّة والصون للمرأة المسلمة الملتزمة تقول في صدد رعايتها لسُمعتها

---

(١) النساء / ٧٦.

الأنقى من الزلال: ﴿يا ليتني مِتُّ قبل هذا وكنتُ نسياً منسيّاً﴾[١]، خاصّة بعدما عرفها قومها بعفافها الذي كان يُضرَب مثلاً للنساء: ﴿قالوا يا مريمَ لقد جئتِ شيئاً فريّاً * يا أختَ هارون ما كان أبوكِ امرأ سوءٍ وما كانت أمُّكِ بَغِيّاً﴾[٢].

وأمّا من جهة المناعة الاجتماعية، فقد اتخذ المشرِّع الاسلامي الاحتياطات التالية:

١ ـ فلقد حرّم إطالة النظر من الرجل للمرأة: ﴿قُل للمؤمنينَ يَغُضُّوا مِن أبصارِهِم ويَحْفَظُوا فُرُوجَهُم ذلكَ أزكى لهُم إنّ اللهَ خبيرٌ بما يصنعون﴾[٣]، ومن المرأة للرّجل: ﴿وقُل للمؤمناتِ يغضضنَ من أبصارهنّ﴾[٤]. فلقد اعتبرت العين نافذة القلب، والنظر رسول الفتنة ومقدّمة الزِّنا.. وقديماً قال الشاعر:

كلّ الحوادث مبدأها من النظرِ ... ومعظم النار من مستصغر الشّرر
كم نظرة فتكت في قلبِ صاحبها ... فتك السِّهام بلا قوس ولا وترِ

---

(١) مريم / ٢٣.
(٢) مريم / ٢٧ ـ ٢٨.
(٣) النور / ٣٠.
(٤) النور / ٣١.

وقال آخر:

نظرةٌ فابتسامةٌ فسلامُ　　فكلامٌ فموعدٌ فلِقاءُ

٢ ـ وحرّم النظر بريبة، تلك النظرة التي تمثّل الانجذاب الغريزي أي الشهوة الجنسية، ولقد اعتبرت هذه النظرة محرّمة ولو لم يكن بعدها الزّنا لأنّها تشتمل على مفاسد ذاتية مثلها مثل اللمسة والقبلة.. وفي الحديث الشريف: «**العينان تزنيان، وزناهما النظر**»، وجاء في حديثٍ آخر: «**النظرة سهمٌ من سهام إبليس مسموم، وكم من نظرة أورثت حسرةً طويلة**»، وفي حديثٍ آخر: «**أوّل النظرة لك والثانية عليك والثالثة في الهلاك**»، لأنّ في الثالثة تحقيقاً للنظر وإمعاناً له، وهو النظر بريبة.

٣ ـ وحرّم الخلوة بالأجنبية، وهي التي لا تحلّ إلّا بالزواج، مُعتبراً ذلك مسرباً من مسارب الشيطان: «**ما اختلى رجل وامرأة إلّا وكان الشيطان ثالثهما**».

من خلال ذلك، نفهم أنّ العلاقة بين (الستر) وبين (النظر) مترابطة، فكما نطلب من الفتيات أن يستترن، نطلب من الشبّان أن يغضّوا الطّرف، وحتى تكتمل دائرة العفّة، سدّ الاسلام الطرق الموصلة إلى الزّنا، ولذا جاء قوله تعالى: ﴿**وإذا سألتموهنّ متاعاً فاسألوهنّ من**

٢٥٨٩١٢

وراء حجاب ذلكم أطهر لقلوبكم وقلوبهنّ ﴾[1]، فالغرض المطلوب من الستر هو طهارة القلوب، قلوب الشابّات وقلوب الشبّان معاً.

ولقد جاء في سبب نزول الآية الكريمة: ﴿قُل للمؤمنينَ يغضّوا من أبصارهم﴾ أنّ شاباً من الأنصار استقبل امرأة بالمدينة، فلمّا جاء نظر إليها ودخل في زقاق وجعل ينظر خلفها، واعترض وجهه عظم في الحائط أو زجاجة، فشقّ وجهه، فلمّا مضت المرأة، فإذا الدماء تسيل على ثوبه وصدره، فقال: والله لآتينّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولأخبرنّه. فهبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿قُل للمؤمنينَ يغضّوا من أبصارهم﴾.

فالشاب هنا قد افتتن بالنظر الشهوانيّ فاتّبع المرأة بالسّير خلفها لأنّه حرّك مخيّلته في الجانب الجنسي، ولم تكن النظرة عابرة أو سطحية. وقد قيل إنّ معنى غضّ البصر ليس هو إقفال البصر تماماً وإنّما خفضه وعدم إرساله طليق العنان يلتهم الغاديات والرائحات. ولذا قال الشاعر ناصحاً:

وأنتَ إذا أرسلتَ طرفكَ رائداً ... لقلبكَ يوماً أتعبتكَ المناظرُ
رأيتَ الذي لا كلّه أنتَ قادرُ ... عليه ولا عن بعضهِ أنتَ صابرُ

---

(١) الأحزاب / ٥٣.

ولذلك قال رسول الله ﷺ: «**كلّ عين باكية يوم القيامة إلّا ثلاثة: عين بكت من خشية الله، وعين غضّت عن محارم الله، وعين باتت ساهرة في سبيل الله**». وفي الحديث: «**مَن نظر إلى إمرأة ورفع بصره إلى السماء** - أي صرفَ بصره عن النظر الحرام - **لم يرتدّ إليه بصره حتى يزوِّجه الله من الحور العين**».

وكلّ ذلك من أجل أن يعيش المجتمع المسلم العفاف في نظراته وكلماته وتصرّفاته.

لماذا الحجاب ؟

ربّما توحي كلمة (الحجاب) والتي تعني الستر الشرعي بمعنى سلبي، وكأنّ الاسلام يريد للمرأة أن تحتجب عن المجتمع وتنعزل عنه فلا تمارس دورها فيه. وهذا ما قد ركّزته بعض الأحاديث الموضوعة التي تتعارض مع صريح القرآن الكريم[١] في دفع المرأة إلى ممارسة دورها الرسالي والسياسي والاجتماعي، كالقول: «النساء عيّ وعورات، فداووا عيّهنّ بالسكوت وعوراتهنّ بالبيوت»، والقول: «فاحبسوا نساءكم يا معشر الرجال» وغيرها، في حين أنّ الواقع التاريخي لمسيرة المرأة لا يلتقي مع ذلك، فلقد كانت تخطب وتشارك في المعارك كمداوية للجرحى، وساقية للعطاشىٰ، أو مستنهضة للعزائم والهِمَم، وتساهم في النشاطات العامّة بما لا يخرجها عن حدود الالتزام والعفّة.

ولذلك فإنّ من الأنسب في التعبير هو (الستر الشرعي)؛ لأنّ مصطلح الحجاب لم يرد في أيّ من كتب الشريعة، وإنّما هو اصطلاح دارِج، ومع ذلك فإنّنا سنستعمله في الاشارة إلى الستر.

فلماذا أراد الله للفتاة أو المرأة أن تستتر ؟

---

(١) من ذلك قوله تعالى: ﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر﴾ التوبة / ٧١.

لقد أجبنا عن ذلك بعض الإجابة، وقد تأكّد ـ فيما سبق ـ أنّ الاسلام يريد التركيز على إنسانية المرأة دون أن يلغي خصوصيتها الأُنثوية.

ولم يُحدِّد الاسلام شكلاً معيّناً للستر، بل تحدّث عنه في الاطار العام والمواصفات التي يجب أن يتّصف بها لباس المرأة دون الخوض في تفاصيل اللون والشكل وتصميم الأزياء، وذلك ضمن النقاط التالية:

١ ـ أوجب على المرأة ستر ما زاد عن الوجه والكفّين ـ وعلى بعض الآراء القدمين أيضاً ـ وذلك لغير الزوج والمحارم كالأب والعم والخال والإخوة، وأجاز النظر إلى تلك المساحة المحدودة على اعتبار أنّ هذه المواضع (الوجه والكفّين) هي ممّا تحتاجه المرأة في التعامل الاجتماعي.

٢ ـ أوجب عليها أن تستر فتحة الصّدر، لأنّها من مواضع الإثارة، وذلك هو قوله تعالى: ﴿وليضرِبنَ بخمرهنّ على جيوبهنّ﴾[١]، والخمر جمع خمار وهو غطاء الرأس، والجيوب جمع جيب وهو فتحة الصّدر من الثوب. فالواجب على الفتاة أو المرأة المسلمة أن تُغطِّي رأسها بخمارها، وأن تستر به صدرها ونحرها وعنقها، حتى لا ينكشف شيء من هذه المفاتن لنظرات المتطلّعين، وحتى لا تكون المرأة المسلمة كالمرأة المتبرِّجة

---

(١) النور / ٣١.

في الجاهلية ﴿ولا تبرّجنَ تبرّجَ الجاهليّة الأُولى﴾[1]، لأنّ التبرّج لغةً هو إظهار ما يجب إخفاؤه. ولقد كانت المرأة في الجاهلية تخرج وتمشي بين الرجال، لها مشية تكسّر وتغنّج، وتلقي الخمار على رأسها ولا تشدّه، فتبدو في زينتها.

٣ ـ أوجبَ عليها أن لا تُبدي زينتها إلّا ما ظهر منها، ويُقال إنّ المراد من الزينة هي الزينة الطبيعية كالشعر والمحاسن الجسمية، فيجوز إظهار ما بدا منها، وهما الوجه واليدان. وأمّا الزينة الاصطناعية، كالأصباغ والمساحيق، فلا يجوز إظهارها ﴿وإن يستعففنَ خير لهنّ﴾[2].

ولقد صدق مَن قال: «لقد تساهل الاسلام مع المسنّات وشدّد على الشابّات ـ في مسألة الحجاب ـ ولكن جاء العمل على عكس ما أمر القرآن الكريم، حيث نرى التبرّج والتهتّك في الشابّات والتستّر والتحفّظ من المسنّات، فتساهلنَ فيما شددّ الله، وتشدّدن فيما تساهل»[3].

٤ ـ في الستر الشرعي، أراد الاسلام لملابس المرأة أن تكون موافقة

---

(١) الأحزاب / ٣٣.

(٢) النور / ٦٠.

(٣) محمدجواد مغنية: الفقه على المذاهب الخمسة، ص ٩١.

لشروطه، وهي:

أ ـ أن تغطّي جميع الجسم عدا المستثنى منه (ما ظهر منها).

ب ـ أن لا يشفّ ولا يصف ما تحته، أي أن لا يكون رقيقاً يحكي البشرة ويبرزها.

ج ـ أن لا يحدِّد أجزاء الجسم أو يبرز مفاتنه، أي أن لا يكون مثيراً للشهوات، وذلك قوله تعالى: ﴿يدنين عليهنّ من جلابيبهنّ﴾[1]، وأن لايكون مصداقاً للتبرّج بأن ترتدي الفتاة أو المرأة لباساً يستر جسدها، لكن موضته ـ أي طريقة صناعته أو خياطته ـ تخلق حالة من الإثارة ربّما تفوق إظهار المفاتن.

---

(١) الأحزاب / ٥٩.

الحجاب والحرِّية:

والآن نحاول أن نجيب على الأسئلة التالية، لنرى هل أنّ الاسلام أراد أن يضيِّق حرِّية المرأة بتكليفها بارتداء السّتر؟

أ ـ ما هو مفهوم الحرِّية في الاسلام؟

ب ـ ما هي ضوابط ممارسة الحرِّيات؟

ج ـ هل الحجاب يناقض الحرِّية؟

أ ـ فالحرِّية في معناها العام هي: «نفي سيطرة الغير.. والقاعدة الأساسية للحرِّية في الاسلام هي: التوحيد والايمان بالعبودية المخلصة لله الذي تتحطّم بين يديه كلّ القوى الوثنية التي هدّدت كرامة الانسان على مرّ التاريخ»[1].

فعملية التحرير تنطلق من داخل الانسان نفسه بتحكّمه بإرادته ومسيرته وشهواته، ولذلك فإنّنا: «إذا جمّدنا في الانسان القدرة التي تمكِّنه من السيطرة على شهواته، واكتفينا بمنحه الحرِّية الظاهرة في سلوكه العملي، ووفّرنا له بذلك كلّ إمكانات ومغريات الاستجابة لشهواته، كما صنعت الحضارات الغربية الحديثة، فقد قضينا بالتدريج

---

(١) محمدباقر الصّدر: المدرسة الاسلامية، ص ١٠١.

على حرِّيتـه الانسانية في مقابل شهوات الحيوان الكامن في أعـماقه، حتى إذا التفت إلى نفسه في أثناء الطريق، وجد نفسه محكوماً لا حاكماً، ومغلوباً على أمره وإرادته»[1].

فالحرِّية بهذا المعنى الاسلامي حرِّيتان:

حرِّية داخليـة، تنبع من مقـدار التحكّم والسيطرة على شهوات الانسان.

وحرِّية خارجية، وهي التحرّر من سـيطرة الآخـرين وظـلمهم وضغوطاتهم.

وهما حرِّيـتان متكاملتان، فلا يمكن أن نجمِّـد إحداهما ونـطلق الأُخرى، وإذا تزاحمتا، أي لم يكن لنا خيار سوى حرِّية واحدة، فإنّنا نفسح المجال للحرِّية الأُولى لأنّها الحرِّية الحـقيقية التي يشـعر مـعها الانسان بحرِّيته وعزّته حتى ولو كان يقبع في داخل زنزانة.

ويمكن أن نلخِّص أهم معالم الحـرِّية الاسلامية من خلال تعريفها في النقاط التالية:

١ ـ الحرِّية تستبطن المسـؤولية، فأنتَ حرّ يعني أنتَ مسـؤول، ولا بدّ أن تقدِّم تفسيراً معقولاً لكلّ ما تقوم به.

---

(١) محمدباقر الصّدر: المدرسة الاسلامية، ص ١١٢.

٢ ـ والحرِّية نظام، فهي تنظِّم الحركة وتضع لها ضوابطها وتفسح لها المجال حيثما كان في ذلك الخير والصلاح، وتمنعها حيث تصبح تعدِّياً على حرِّيات الآخرين، فهي قانون وليست ضدّ القانون.

٣ ـ والحرِّية اختيار، لأنّها تقوم على أساس أنّ الأصل في طبيعة الانسان الخير.

٤ ـ والحرِّية علم وثقافة، لأنّها تقوم على تشخيص الحقائق ومعرفة الأشياء الضارّة والنافعة.

٥ ـ والحرِّية تشريع يتحرّك في دائرة المباحات، ولا حرِّية مع الواجب والمحرّم.

٦ ـ والحرِّية تجربة ومنهج اسلامي شامل، ينضج بالوعي والممارسة الصحيحة.

هذه هي أهم معالم الحرِّية في الاسلام، وما عداها فـ (حرِّية) مزيّفة أو لنَقُل ناقصة، فلقد ركّزت وسائل الاعلام على تحرير الشكل الخارجي للمرأة، والذي يعتبر شكلاً آخر للعبودية يهدف إلى إضفاء مسحة من الجمال الظاهري على الأَمَة القديمة ليس إلّا.

فلقد كان عربُ الجاهلية يعتبرون (ذات النقاب) حرّة و(المتجرِّدة) أَمَة، أي أنّهم أعطوا صفة الحرِّية للمرأة المستترة، وكان يمكن أن تعتبر

سجينة النقاب أو مُضيّقاً عليها، وأعطوا صفة العبودية للمتبرِّجة.

فالحرِّية المزعومة هي شعار للاستغلال وليس دعوة مخلصة لانقاذ المرأة أو تحريرها، والحقيقة هي كما عبّرت عنها إحدى الكاتبات «قال لها الرجل: إنّها حرّة في تصرّفاتها وفي كلّ شيء، وهي في الواقع مُقيّدة بإرضاء الرجل، أي رجل كان، وإشباع رغباته»[1].

ويمكن لنا أن نتمثّل حرِّية الغرب الداعية إلى الخلاعة والمجون، من خلال الاحصاءات المريعة، التي تتحدّث عن الحمل والولادة والاجهاض قبل الزواج، وأثر الأفلام الخليعة. كما يمكن أن نتعرّف على زيف شعار الحرِّية في بلد كفرنسا من خلال طرد بعض الفتيات المحجّبات من مدارسهنّ، حيث اعتبر حجابهنّ رمزاً دينياً تبشيرياً يثير الخلافات بين الطالبات!!

يُضاف إلى ذلك أنّ بعض أسباب الطلاق وانتشار الفحشاء هو من بعض الثمار الفجّة للتبرّج، وسنضرب لذلك بعض الأمثلة والشهادات الميدانية.

ب ـ وحتى لا يُساء استعمال الحرِّية في الاسلام، وضع المشرِّع تنظيمات وضوابط، فالحرِّية في الاسلام ليست مُطلقة بل قُيِّدت داخلياً

---

(١) بنت الهدى: المرأة مع النبيّ، ص ٨٨.

بالخضوع لحكم الارادة والعقل والضمير، وخارجياً بالاجراءات القانونية التي يُطلق عليها (الآداب العامّة)، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتشريعات الاسلامية الأُخرى.

ولمّا كانت الارادة تضعف أحياناً أمام الضغوطات، كان لا بدّ من ضوابط تحفظها من ذلك الضعف، وأهمّها (الثواب) و (العقاب)، إلى جانب إجراءات القانون الاسلامي، وهو نظام تشريعي غير خاضع للأهواء والأمزجة.

ولعلّنا نجد في مثال يوسف عليه السلام اختيار السجن أو تفضيله على الحرِّية المنحرفة، مثلاً اسلامياً بليغاً ـ للمرأة وللرجل ـ في الحفاظ على روحية الحرِّية التي يتحرّك بها الانسان المؤمن، ويحاذر أشدّ المحاذرة من السقوط تحت أقدام المعصية، فلقد قيّد حرِّيته الجسدية من أجل أن يطلق حرِّيته الايمانية والروحية: ﴿قال ربِّ السِّجن أحبّ إليَّ ممّا يدعونني إليه وإلّا تَصرِف عنِّي كيدهنّ أصبُ إليهنّ وأكن من الجاهلين﴾ (١).

ج ـ وأمّا الإجابة عن السؤال الأهم: هل الحجاب و (الستر الشرعي) يناقض الحرِّية ؟

---

(١) يوسف / ٣٣.

فلنستمع إلى آراء بعض علماء الاسلام وأصحاب الرأي في ذلك:

- «إنّ ستر البدن باستثناء الوجه والكفّين لا يحول دون أي نشاط ثقافي أو اجتماعي أو اقتصادي، وإنّ الذي يؤدِّي إلى تعطيل الطاقة العملية للمجتمع هو تلويث محيط العمل بالممارسات الشهوانية»(١).

- «رأي الاسلام الصريح أنّ الحجاب إنّما هو ضمان قانوني للعفّة، يصونها عن الانزلاقات العاطفية التي توجبها فتنة العري، وعن الاعتداء الأثيم الذي تمكّن له مظاهر التبرّج والخلاعة»(٢).

- (إنّ الاسلام لم يفرض على المرأة - كما يُقال - أن تظلّ حبيسة البيت لا تخرج منه إلّا إلى القبر، بل أباح لها الخروج إلى الصلاة وطلب العلم وقضاء الحاجات وكلّ غرض ديني أو دنيوي مشروع، كما كان يفعل ذلك نساء الصحابة ومن بعدهم من خير القرون، وكان منهنّ مَن يخرج للمشاركة في القتال والغزو مع رسول الله صلّى الله عليه وآله وسلّم ومن بعده من الخلفاء والقوّاد. وقد قال صلّى الله عليه وآله وسلّم لزوجه سودة: «قد أذن الله لكنّ أن تخرجن لحوائجكنّ»، وقال: «إذا استأذنت المرأة أحدكم إلى المسجد فلا يمنعها»، وفي حديثٍ آخر: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»)(٣).

---

(١) مرتضى المطهّري: مسألة الحجاب، ص ٦٤.

(٢) محمد أمين زين الدين: العفاف بين السّلب والايجاب، ص ١٣.

(٣) يوسف القرضاوي: الحلال والحرام في الاسلام، ص ٢٥٨.

ـ وتقول إحدى الكاتبات: «إنّ فلسفة الحجاب أنّه يجعل النساء أكثر تحرّراً، فهو يجنّبهنّ أن يكنّ مجرّد رموز جنسية أمام الناظرين، وأن يقعنَ في فخّ الثوب الغربيّ وتعاليم الأزياء الغربية»[1].

من هذه الآراء، وغيرها كثير، التي تلتقي على فهم واحد لمعنى الحجاب في الاسلام، نخلص إلى أنّ الحرّية تتسع في أجواء العفّة والاحتشام، وتضيق فتنحصر في النزوات والشهوات إذا كانت تتحرّك في إطار جنسي بحت.

---

(١) رنا قبّاني: رسالة إلى الغرب، ص ٦٠.

شهادات ميدانية:

ولعلّنا نتّفق على أنّ خير طريقة للتثبّت من أنّ الحجاب لا يتناقض مع الحرِّية، هي شهادات النساء أنفسهنّ، سواء السلبية منها، والتي تتحدّث عن النتائج الوخيمة للتبرّج، أو الايجابية التي تتحدّث عن نجاح تجربة الحجاب في خلق أجواء العفّة والاستقرار النفسي.

ـ تقول الشاعرة الفرنسية (مدام دولار ماردیوس): «قولوا لنسائكم ليقدِّرنَ سعادتهنّ، وما يضطررن إليه من الحياة المحجّبة التي تصونهنّ عن اضطرابات كثيرة. إنّ في أُذنيّ ودائع من شكايات النساء تفتِّت الأكباد».

ـ وفي دراسة نقابية اتّضح «أنّ كل نساء سريلانكا تقريباً يتعرّضن لمضايقات في العمل»، وقد خلصت الدراسة التي شملت (٦٠٠) سيِّدة عاملة تتراوح أعمارهنّ بين (٢٠ ـ ٣٩) سنة، إلى أنّ المضايقات أكثر في القطاع الخاص منها في القطاع العام، وأنّ معظمهنّ تعرّضن إلى استغلال مظاهرهنّ وأزيائهنّ، وأنّهنّ يشعرنَ بقلّة حيلتهنّ وبالهوان عندما يتعرّضن لمضايقات، ممّا يؤدِّي إلى زيادة الضغط على أعصابهنّ.

ـ وقد قامت مجلّة (ماري كير) الفرنسية باستطلاع شملَ (٢٫٥) مليون فتاة، نشر تحت عنوان: «وداعاً عصر الحرِّية .. أهلاً بعصر الحريم». وكان السؤال المطروح للاستطلاع عن رأيهنّ بالزواج من

العرب ولزوم البيت. فكانت الإجابة (٩٠٪) نعم».

ـ (مارلين مونرو) التي توصَف بأنّها ممثِّلة الإغراء، قالت قُبيل انتحارها: «إنِّي أتعس امرأة على هذه الأرض. لم أستطع أن أكون أمّاً، إنِّي امرأة أفضِّل البيت والحياة الأُسرية الشريفة الطاهرة، فهي رمز سعادة المرأة، بل الانسانية».

ـ وفي استطلاع للرأي نشرته صحيفة (الرأي العام الكويتية) في عام ١٩٩٢، جاء: «إنّ ٩٠٪ من الجامعيات المصريات محجّبات، وأنّ غالبيّتهنّ يتمتّعن بمستوى ثقافي وعلمي رفيع».

ـ تقول فتاة جامعية: «طرح الحجاب وطرح الاختلاط الجامعي، ترك لي الخيار، فوجدتُ أنّ النتيجة في الحالين تهمّني وحدي، فاخترتُ الحجاب وازددتُ به تعلّقاً بعد دخولي الجامعة. فهو الحصن الواقي للفتاة».

ـ وتقول أخرى: «اختياري للحجاب كان طوع إرادتي لأنّني فهمتُ معناه منذ كنتُ صغيرة. إنّني لا أعمل شيئاً لا أفكِّر به جيِّداً، ولا أقوم بتقليد الأشياء أبداً».

ـ وتقول ثالثة: «إنّ الحجاب هو أفضل وسيلة للحفاظ على كرامة ومكانة المرأة، وأنجح سبيل تستطيع من خلاله التحرّك والمساهمة في

الأنشطة الاجتماعية والأعمال الأخرى، دون خوف من العيون الجائعة».

ـ وتقول أخرى: «الحجاب بالنسبة لي هو صمّام الأمان في علاقتي مع الرجل، لأنّه بمثابة الحدود التي لا يمكن تخطّيها، ولا يمكن بالتالي تجاهلها، والتي تفرض على الرجل أن يتعامل معها كإنسانة وليس مجرّد جسد يثيره ويغويه»(١).

وبالرغم من كلّ ما قيل ويُقال في التزام الفنّانات المُعتزلات اللّواتي كنّ يغوين الشبّان والرجال بأجسادهنّ، والنساء بتقليد أزيائهنّ المتبرّجة وحركاتهنّ المتخلّعة، فإنّ ما يمكن التقاطه من هذه الظاهرة، أنّ العودة إلى الذات والالتزام بمقرّرات الاسلام يعني أنّ الخروج عليها وعدم التقيّد بها كان سبباً بارزاً من أسباب بؤس المرأة وضياعها، وبعودتها إلى رشدها كانت قد اختارت الطريق الأمين الذي يُجنّبها ومجتمعها مزالق ومخاطر كثيرة.

ومن خلال الشهادات ـ المارّة الذّكر ـ سواء السلبية أو الايجابية، يتّضح أنّ اللّواتي اكتوينَ بنار الخلاعة والاثارة، بل حتى السافرات العاديّات يدفعنَ ضريبة باهضة لتخلّيهنّ عن حدود ما أراد الله. وأمّا اللّواتي التزمنَ بتلك الحدود، فإنّهنّ يعشنَ حياة أكثر استقراراً.

---

(١) هذه العيّنات مُقتبسة من مجلّات نسوية: (المؤمنة) و(عفاف).

أصناف المحجّبات:

إنّ الأسباب التي تدعو الفتاة أو المرأة إلى الالتزام بالحجاب (الستر الشرعي) كثيرة، فليست كلّ محجّبة أو مستترة هي حقّاً إمرأة مؤمنة بهذا الضابط الشرعي للعفّة.

ولقد تحدّث بعض الكتّاب عن تصنيف المحجّبات على ضوء الدافع الذي يقف وراء التزامهنّ بالحجاب.

فالبعض اعتبر الدافع اجتماعياً، وهو خشية الملتزمة بالستر من أن تكون غرضاً لكلام الناس. أو أنّها تقوم بعملية تقليد إلزامية للمجتمع الذي يأخذ بأسلوب الستر، فهي ملتزمة لا عن إيمان وقناعة بل عن تقليد ومحاكاة.

والبعض الآخر اعتبر الدافع ذاتياً، وهو حبّ الظهور وجذب الأنظار.

واعتبره آخرون ازدواجية في الشخصية، أي أنّ هناك تناقضاً بين المحتوى الداخلي لشخصية المحجّبة، وبين ما يضفيه الشكل الخارجي، أو يحدثه من انطباع بالايمان والالتزام بالحشمة. أي أنّ المحجّبة تقوم بعملية تمويه، فهي في الخارج مستترة، وفي الداخل مخالفة للاسلام في كلّ شيء، أو في أشياء كثيرة.

ونظر إليه آخـرون نظرة اقتصـادية، فاعتـبروه لونـاً مـن ألوان الاشتراكية، وإلغاءً للفوارق الطبقية.

واعتبره قسم آخر تعبـيراً عن صدمة عـاطفية ألجأت الفـتاة أو المرأة المصابة بالصّدمة إلى اتخاذ الحجاب أسلوباً احـتجاجياً، أو ردّة فعل لما تعانية من صدمة، أو ما تشعر به من حالة إحباط شديد.

واعتـبره آخرون حالة من حالات التـصوّف والانـعزال، وربّمـا الانغلاق في شعور الفتيات المحـجّبات ـ حسب أصحاب هذا الرأي ـ أنّ طبيعة الحياة المعاشة لا تُبشِّر بالأمل والسعادة، فلا بدّ من العـودة إلى الايمان.

وهناك المحجّبة المنطلقة في سترها من منطلق إيماني راسخ، وشعور حقيقي بالانتماء للاسلام، والتزام واع بمقرّرات الشريـعة الاسـلامية، ومعرفة بضرورة تحصين المجتمع بالعفّة والاحتشام.

ويجمع أصحاب هذه الآراء على أنّ المظهر لا يمكن اعـتماده دليـلاً وحيداً على نقاء الداخل وطهارة السريرة، فـقد تـتحجّب الفـتاة أو المرأة، ولكن سلوكها العام لا يوافق ما ترتديه مـن زي اسـلامي ولا يدلّ على معناه.

ومع أنّنا مأمورون إسلامياً أن نأخذ بظواهر الأمور، لكنّ مناقشة

هذه الآراء ستعين على مواجهة الشبهات التي تُثار ضدّ الستر الشرعي (الحجاب) وتدفع إلى التمسّك والالتزام به أكثر فأكثر.

فبالرغم من أنّ خشية الفتاة من كلام الناس ونقدهم يُعدّ عاملاً مساعداً من عوامل الحفاظ على أجواء العفّة، ولا بدّ من مراعاته تجنّباً للخدش في سمعتها، إلّا أنّنا يمكن أن نعتبر الالتزام بالحجاب سواء بسبب التقليد الاجتماعي للأُمّهات أو الجدّات أو النساء المؤمنات، أو الخوف من ألسِنة الناس، لا يمكن أن يصمد طويلاً.

فعندما تتعرّض الفتاة لأوّل حالة اهتزاز أو ضغط عنيف، فإنّها يمكن أن تتخلّى عن حجابها، أو في الأقل تتساهل فيه، لأنّها أساساً لم تنطلق من قناعة ذاتية أو فكرية أو تشريعية للالتزام به.

وأمّا الصنف المتناقض الذي يبدو في الخارج ملتزماً، وفي الداخل بعيداً عن الالتزام، فإنّ الفتاة من هذا الصنف إنّما تقوم بعملية تجزئة للالتزام وللإيمان، فهي تراهُ شكليّاً، ولذا فهي تلتقي مع الفتاة الأُولى في التخلّي عن حجابها إذا دعتها الظروف الخارجية الضاغطة، أو البقاء عليه رغماً عنها.

فالالتزام إذاً كلّ متكامل، سواء في الداخل أو في الخارج. والعفّة النفسية والسلوكية أهمّ بكثير من العفّة المظهرية، بل هي التي تعطي

زخماً لعفّة الشكل لكي يكون فاعلاً مؤثِّراً، بل وقادراً على المقاومة.

ولا يخفى أنّ الفتاة التي تتظاهر بالالتزام بالستر وتخالفه في واقعها الحياتي، إنّما تقدِّم بذلك نموذجاً سيِّئاً للفتاة أو المرأة المسلمة، فهي فتاة منافقة تتقيّد بالشكل وتهمل الجوهر.

وأمّا تلك التي تحجّبت حبّاً في الظهور ولأجل أن تتجه الأنظار إليها، لأنّها تعيش في مجتمع يسود فيه الالتزام والمحافظة على العفّة، ولذا فهي تخشى من عدم الزواج، إلّا إذا كانت محجّبة، فهي تندرج تحت عنوان الالتزام السطحي بالحجاب الذي لا يرمز إلى عُمق إيماني، ولا يُعبِّر عن حالة روحية تنعكس في السلوك عفّة واحتشاماً.

وأمّا اعتبار الحجاب حالة من التصوّف والانعزال، احتجاجاً على واقع الحياة المزري والمتردِّي، فقد يكون ظاهر هذا الرأي الحق وباطنه الباطل.

فأن تعتزل الفتاة حالة الانهيار الأخلاقي والفحش والفساد، وتركن إلى ما يقيها من مهاوي الانفلات والانزلاق، أمر تُحمَد عليه، وهي من الصنف الملتزم المحتشم عن قناعة ووعي وإيمان.

وأمّا أن تصبح في حالة من حالات الانكماش والانغلاق عن المجتمع، فلا تمارس دورها الاجتماعي والعملي والرسالي بسبب ذلك،

فإنّ هذا ممّا لم يقل به الاسلام.

أمّا أولئك الذين يعتبرون الزيّ الاسلامي ينطوي على اشتراكية وتكاليف أقلّ وتذويب للفوارق الطبقية، لأنّه يوحِّد الشكل أو المظهر من حيث اللباس الخارجي على الأقل، فحتى على فرض أنّ النتيجة كانت كذلك بحيث تتقلّص الفوارق ويكون هناك نوع من التضامن بين لابسات الزيّ الواحد أو الموحّد، فإنّ هدف المشرِّع الاسلامي أعمق من ذلك، إذ يمكن اختراق هذه المحصّلة بالأقمشة التي تُصنع منها حجابات ونقابات المرأة من حيث الرخص والغلاء، وبالتالي فكلّه ستر شرعي. فالمسألة ليست اقتصادية بالدرجة الأُولى بقدر ما هي المحافظة على الجوّ الاجتماعي والنفسي والروحي عفيفاً نظيفاً.

وأمّا اعتبار الحجاب في بعض الحالات تعبيراً عن صدمة عاطفية في نفسية الفتاة كانفصال الأب عن الأم، أو وفاة أحد الأعزّاء في الأُسرة، فلا تجد مهرباً من صدمتها سوى التقرّب إلى الله بالزهد والحجاب، كما يعبِّر بعض أطبّاء علم النفس، فإنّ حالة الالتزام هنا طارئة سوف تزول بزوال السبب المؤثِّر، وسرعان ما تعود الفتاة إلى وضعها السابق.

يقول طبيب نفساني: «وقد صادفتني عدّة حالات تتحجّب فيها

المرأة مع بداية المرض النفسي، وعند شفائها من المرض تخلع حجابها وتعود إلى طبيعتها، والعكس صحيح، وبعض المحجّبات يخلعن الحجاب عندما يبدأ المرض، وبعد شفائهنّ يعدنَ إلى لبس الحجاب»[1].

وإذا كان تشخيص الحالة صحيحاً، فإنّها كأيّة حالة مرضيّة خاضعة لمدّة المرض وشدّة تأثيره، ولا يمكن اعتبار حجاب من هذا النوع حجاباً إسلامياً ثابتاً، لأنّ الدوافع التي دفعت إليه نفسية قلقة.

ويبقى الصنف الأخير هو الأهم، وهو الصنف الذي ركّزنا حديثنا عليه في هذا الكُتيِّب. وهو المثال الذي نتمنّى على فتياتنا وبناتنا ونسائنا الالتزام به للدواعي الكثيرة التي تقدّم ذكرها.

لكنّنا ـ كفتيات ملتزمات بالحجاب أو على أهبة الالتزام به ـ يجب أن لا يخفى علينا أنّ بعض مَن يصنِّفون المحجّبات بهذه التصنيفات يحاولون الطّعن بالسّتر الشرعي من خلال هذه الاعتبارات.

وعلينا أن لا نعتبر كلّ فتاة سافرة ساقطة خلقياً، فقد تكون نشأتها أو ظروفها الخاصّة هي التي أجبرتها على ذلك، وقد تكون مستعدّة لإصلاح أمرها إذا توافرت الأجواء المناسبة أو القناعات اللّازمة.

---

(١) انظر د. أحمد عكاشة: ثقوب الضمير، نظرة عامّة على أحوالنا، ص ٨٠ وما بعدها.

كما يمكن الإفـادة من حجاب أيّة محجّبة لأسـباب غير شرعية، كمقدّمة لإقناعها بالالتزام به دائماً، فقد يُعبِّر ذلك عن استعداد للالتزام بالعفّة والحشمة والحياء، وخطوة أولى على الطريق الصحيح.

مناقشة شبهات:

تعرّض ستر المرأة المسلمة الشرعي وما زال إلى هجوم سافِر من دُعاة التحلّل الذين يرفعون دعوتهم تحت ستار أو شعار (حرِّية المرأة).

فمن قائل:

ليتَ النقاب على النساء محرّمُ كي لا تغرّ قبيحةٌ إنسانا

وهذا هو قول من يقول بما لا يعلم، لأنّ قوله مردود من جِهة:

١ ـ إنّ من أبرز علامات القُبح والجمال هو الوجه، فطالما كان الوجه ممّا يُباح للمرأة كشفه، فأين هو التغرير؟

٢ ـ وإذا كان المراد بالنقاب هو ستر الوجه، فهو ممّا درج عليه العُرف ولم يقل به الشّرع.

٣ ـ وإذا كان المراد بالتغرير أن يكون القُبح في الأجزاء المستورة من الجسد، فإنّ المشرِّع الاسلامي عالج هذه المسألة من خلال:

أ ـ الجواز للرجل أن ينظر إلى مَن يريد أن يتزوّج بها، أي إلى محاسنها، وهي: الشعر والعُنق والمعصم والساق.

ب ـ وإذا تأكّد بعد الزواج أنّ الفتاة أو المرأة قد أخفت على الرجل

إصابتها ببعض التشويهات أو التعويقات، فللرجل الحق في فسخ العقد دون أن يدفع لها من مهرها شيئاً، لأنّ ذلك يعتبر من (التدليس) أي الخداع في الشروط والمواصفات.

فما هي الحاجة إلى تحريم السّتر ـ حسب قول الشاعر ـ مع مراعاة هذه المباحات أو المسموحات؟

ومن قائل[1]:

أسفري فالحجابُ يا ابنة فهرٍ   هو داء في الاجتماع وخيمُ
كلُّ شيءٍ إلى التجدّد ماضٍ   فلماذا يُقَرُّ هذا القديمُ
أسفِري فالسفور للناسِ صبحٌ   زاهرٌ والحجاب ليلٌ بهيمُ

فالشاعر هنا يعتبر الستر شيئاً قديماً لا يجوز التمسّك به طالما أنّ كلّ شيء في الحياة ماضٍ نحو التجدّد والتطوّر والتقدّم، وهو قول مردود أيضاً من جهة:

---

(١) قائل هذه الأبيات هو الشاعر العراقي (جميل صدقي الزهاوي). وقد ردّ عليه شاعر النيل (حافظ ابراهيم) بالقول:

أنا لا أقول دعوا النساءَ سوافراً   بين الرِّجال يجلن في الأسواقِ
كلّا ولا أدعوكمُ أن تُسرفوا   في الحجب والتضييق والإرهاقِ
فتوسّطوا في الحالتين وأنصِفوا   فالشرّ في التضييق والإطلاقِ

١ ـ ليس كلّ قديم باطلاً، وليس كلّ جديد صالحاً، فما أكثر الجديد الباطل وما أكثر القديم الصالح. فالأمر ليس في جدّة الشيء وقدمه، بل بما يعبّر عنه من قيم وبما يحقّقه من مصالح وأهداف اجتماعية وأخلاقية ونفسية وأمنية.

٢ ـ إنّ صلاحية القديم تنتهي إذا انتهى مفعوله أو أسبابه، وطالما أنّ مفعول السّتر الشرعي ودواعيه قائمة، وأنّه يشكّل حاجة فعليّة وأساسية. فإنّه يعتبر علاجاً منظوراً فيه مدى الزمن وليس الفترة التي شُرِّع فيها فقط.

ومن قائل: «ليس الذنبُ في السفور، ولكن بإساءة استعماله».

والأسئلة التي يمكن أن تُطرَح أو توجّه لقائل هذا القول هي:

١ ـ أيّ سفور تعني؟ هل هو الكشف عن محاسن المرأة؟ هل هو التبرّج؟ هل هو الاختلاف في الكشف عن بعض أجزاء الجسد الأُنثويّ؟ هل هو اللِّباس الذي يستر الجسد ما عدا الشعر؟ ما هو بالضّبط؟!

٢ ـ كيف يمكن ضمان عدم إساءة استعمال السفور، وهو كالنافذة المفتوحة على القصر الجميل، هل يُعقل أن يغمض الناظر عينه عن النظر من خلالها؟

٣ ـ ثمّ مَن هو ياترى يسيء استعماله: المرأة السافرة؟ أم الرّجل الذي يستغلّ فرصة سفورها؟

إنّه تلاعب بالألفاظ ليس إلّا.

ومن قائل: «إنّ الحجاب يصون العفّة، لكنّه يسجن المرأة».

ولمّا كان الاسلام قد أباح للمرأة اختيار الشكل المناسب للحجاب ضمن الشروط المنصوص عليها فقهياً، ولم يلزمها بشكل معيّن، كان لا بدّ من مناقشة الاعتراض من جهتين:

ـ طبيعة الحجاب في الاسلام والغاية منه.

ـ تعارض الحجاب مع الحرِّية.

وقد نسبقت مناقشة ذلك.

فـ«ليس الحجاب ـ كما يصوِّره المتحلِّلون ـ تخلّفاً ورجعية وإنّما هو حشمة وحصانة تصون المرأة من التبذّل والإسفاف، ويقيها تلصّص الغواة والداعرين، ويجنِّبها مزالق الفتن والشرور.

وحسبُ المسلمين أن يعتبروا ما أصاب الأُمم الغربية من ويلات السفور والتبرّج واختلاط الجنسين، ما جعلها في وضعٍ سيِّئ وحالة مزرية من التسيُّب الخلقي، وغدت تعاني ألوان المآسي الأخلاقية والصحية والاجتماعية.

إنّ الشريعة الاسلامية إنّما أمرت المرأة المسلمة بالحجاب ونهتها عن التبرّج والاختلاط المريب، حرصاً على كرامتها وصيانتها من دوافع الاساءة والتغرير، ووقاية المجتمع الاسلامي من المآسي والأرزاء التي حاقت بالأمم الغربية ومسخت أخلاقها وضمائرها وأوردتها موارد الشقاء والهلاك»[١].

وليس من شك في أنّ دعوات إخراج المرأة عارية أو شبه عارية هي دعوات مُغرضة مسمومة يُراد منها إشاعة الفاحشة في المجتمعات الاسلامية، والله تعالى يقول: ﴿إنّ الّذينَ يحبّونَ أن تشيع الفاحشة في الّذينَ آمنوا لهُم عذابٌ أليم في الدّنيا والآخرة﴾[٢].

وآخر دعوانا أن الحمدُ لله ربّ العالمين

---

(١) مهدي الصّدر: أخلاق أهل البيت، ص ٢١٩.

(٢) النور / ١٩.

الفهرست

بهدى و لابتداع

مؤسسة البلاغ

AL-BALAGH FOUNDATION

ISBN 964-402-126-6

9 789644 021268